الفارابي الفيلسوف واضع أول معجم جامع لديوان الأدب العربي

الأستاذ أحمد مختار عمر ، القاهرة

نشرت زميلتنا الفراء مجلة معهد المخطوطات العربية (م 7) التابعة لجامعة الدول العربية بحثا قيما بقلم الاستاذ احمد مختار عمر نلخصه فيما يلي :

كان القرن الرابع الهجري هو العصر الذهبي للمعاجم العربية ، ففيه ظهرت الجمهرة لابن دريد ، والمحيط للصاحب بن عباد ، والبارع للقالي ، وتهذيب اللغة للازهري ، والمجمل والمقاييس لابن فارس ، والصحاح للجوهري . وفيه ايضا ظهر ديوان الادب للفارابي .

اتفق المؤرخون على أن « الفارابي » خال « الجوهري » وأن « الجوهري » تتلمذ عليه ، وقد ذكر ياقوت أنه قرأ « ديوان الادب » على خاله « بفاراب » ، وذكر ايضا أنه كتب نسخة منه بيده .

تبلغ نسخ ديوان الادب الموجودة فى مكتبات العالم عشرات النسخ موزعة على أماكن كثيرة ، فى أيا صوفيا ، وليدن ، وباريس ، ولندن ، واسطنبول ، وطهران ، وغيرها .

وقد عرف القدماء قيمة ديوان الادب وكانت له بينهم منزلة سامية ، وقد استفاد منه الكثيرون ، واتخذوه مصدرا من مصادرهم ، كما أثنى عليه العلماء ووصفوه بأرفع الصفات ، فسموه « الجامع لديوان الأدب » ، ووصفوه بأنه « ميزان اللغة ومعيار العربية » . وقال عنه ياقوت « المشهور اسمه الذائع ذكره » . وكان أبو العلاء المعري يحفظه عن ظهر قلب.

كان الفارابي علما من أعلام اللغة ورائدا من الرواد المعجميين الذين اسهموا فى نشأة المعجم العربي وحددوا معالم السبيل لمن بعدهم . وهو يأخذ مادته اللغوية من معاجم السابقين فيكون عمله محصورا فى تنظيم المادة الموجودة فى المعاجم تنظيما جديدا ، وانما اعتمد اساسا على كتب المجاميع اللغوية ، مثل : « اصلاح المنطق لابن السكيت » و « الغريب المصنف لأبي عبيد » و « أدب الكاتب لابن قتيبة » . وعلى الكتيبات اللغوية ككتب الهمز والنوادر والصفات والأضداد والخيل والابل وخلق الانسان والنبات والشجر والنخل والكرم .. الخ ، ولذلك نجد فى معجمه مادة لا نجدها فى العين أو الجمهرة .

والى جانب ذلك ضمن الفارابي معجمه كثيرا من الآراء اللغوية والملاحظات المهمة، التي ساعد عليها ترتيب المعجم على نظام الأبنية من ناحية ، وفقه الفارابي للغة العرب ووقوفه على أسرارها من ناحية أخرى .

وتكشف مقدمة الكتاب لنا اعجاب المؤلف باللغة العربية وتقديسه لها ، وايمانه بفضلها على سائر اللغات ، واختصاصها بميزات لا توجد فى أخواتها ، وتبين عن رأيه فى توقيفية اللغة للغة ونسبة وضعها الى الله . وهو رأي نادى به من قديم كثير من اللغويين

وقد كان ديوان الأدب فتحا جديدا فى تاريخ المعاجم العربية ، ودفعة موفقة الى الأمام فى ميدان البحث اللغوي . وترجع قيمته الى ما يأتي :

1 — ترتيب كلماته على الترتيب الهجائي المعروف ، وسيره على نظام الباب والفصل . وهو اول معجم سلك هذا النظام ، واخذه عنه اصحاب المعاجم من بعده .

2 — انه اول معجم عربي جامع اتبع نظام الأبنية فى ترتيب الالفاظ. ولم يأخذ التأليف فى الابنية قبل الفارابي صورة المعجم الكامل الذي يتجه الى حصر المادة اللغوية وتوزيعها على الأبنية فى نظام معين ، وانما اتجه بعض اللغويين الى حصر الأبنية والتمثل لها ، واتجه بعض آخر الى العناية ببعض الأبنية ومحاولة حصر الفاظها . اي ان عملهم كان فاقدا لأهم عنصرين من عناصر المعجم الكامل وهما : الشمول والترتيب . وميزة الترتيب على الأبنية انه يصون الكلمة من التحريف ويحتفظ بضبطها .

3 — طرحه نظام التقاليب الذي بداه الخليل ، واقتفى اثره اللغويون من بعده . وبذلك فتح الباب أمام المعاجم العربية للتخلص من طغيان شخصية الخليل ، وتكف عن الدوران فى فلك نظامه ، وتبحث لها عن نظام آخر اكثر بساطة واقل تعقيدا .

4 — تركه للمقيس من الفاظ اللغة ، اكتفاء بذكر قاعدته فى المقدمة ، وفى الفصول التي ذيل بها كثيرا من الأبواب . وبهذا اطرح كثيرا من الالفاظ القياسية التي تزحم المعجم ، وامكن ان يجمع فيه — مع صغر حجمه — كثيرا من المادة اللغوية

5 — ترتيب المعجم على نظام الأبنية ، وجمع الكلمات التي على شاكلة واحدة فى صعيد واحد يفيد الصرفيين كثيرا ، ويطلعنا على خصائص الأوزان وما يفيده كل بناء من الأبنية ، كوزن « فعال » الذي يفيد الزيادة والكثرة ، وكصيغة فعيل التي تدل على الملازمة والمبالغة فى الشيء ، كما يقفنا على معاني صيغ الزوائد كصيغة افعل وفاعل وفعل واستفعل .. الخ .

6 — من عيوب المعاجم انها كثيرا ما تهمل النص على باب الفعل الثلاثي مما يوقع الباحث فى الحيرة . وقد تغلب الفارابي على هذه المشكلة بتوزيعه الأفعال على ابوابها فليس فى معجمه فعل واحد لم يرد الى بابه . ومن أمثلة ذلك قول الجوهري : « قلبته اي اصبت قلبه ، وقلبت النخلة اي نزعت قلبها » . ولم يذكر الباب . وقد ذكرها الفارابي فى باب فعل يفعل .